جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

المنهج النقدي عند المفسرين
دراسة تطبيقية

الدكتور

هنيدي هنيدي عبد الجواد

قسم أصول الدين - كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنين القاهرة - جامعة الأزهر - القاهرة - مصر

المنهج النقدي عند المفسرين دراسة تطبيقية

هنيدي هنيدي عبد الجواد

قسم أصول الدين - كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة - جامعة الأزهر - القاهرة - مصر

البريد الإلكتروني: henedyabdelgawad 4 @azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى المقارنة بين المناهج النقدية للمفسرين، من حيث إعمال القواعد النقدية وإهمالها، والإيجاز والإطناب، والحزم والتردد، من خلال بعض النماذج التفسيرية التطبيقية، المتعلقة بالمعاني، وأسباب النزول، والإسرائيليات، وقد اتبعتُ في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن، وتوصلت إلى اختلاف المناهج النقدية عند المفسرين، إعمالًا للقواعد النقدية وإهمالًا، وإيجازًا وإطنابًا، وحزمًا ولينًا، وأوصيتُ بدراسة المنهج النقدي عند كل مُفسِّر، والمقارنة بينه وبين غيره من المناهج النقدية عند المفسرين.

الكلمات المفتاحية: المنهج ــ النقدي ــ المفسرين ــ دراسة ــ تطبيقية

Exegesists' Critical Approach: An Applied Study

Heneidy Heneidy Abdel-Gawad
Department of Usul Ad-din - Islamic and Arabic Studies
Faculty for Boys - Al-Azhar University - Cairo, Egypt
E mail: henedyabdelgawad 4 @azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to compare the critical approaches of the exegesists, in terms of implementing critical rules and neglecting them, brevity and redundancy, and firmness and hesitation, through some applied explanatory models related to meanings, causes of descent, and Israelites. In this research, I followed the comparative analytical method. Hence, I reached, the difference of the critical approaches among the exegesists, in compliance with the critical rules, negligence, brevity and redundancy, firmness and softness.

Keywords: Approach - Critical - Exegesists - Study - Applied.

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطَّاهرين وبعد،،،

فآياتُ القرآن الكريم من حيث الدلالة تنقسم إلى قسمين اثنين: **القسم الأول:** قطعية الدلالة، أي لا تحتمل إلا معنى واحدًا، كآيات المواريث، وآيات التحريم. وهذه الآيات لا خلاف فيها بين المُفسِّرين في التوصل لدلالتها ومعناها. وهي جزءٌ قليلٌ من آيات القرآن الكريم.

والقسم الثاني: ظنية الدلالة، وهي التي تحتمل أكثر من معنى، ويدخل تحت هذا القسم أكثر آيات القرآن الكريم، وهي التي يتصدى لها المفسرون بما أُوتوا من علومٍ وآلياتٍ وضوابط التفسير لمحاولة الوصول إلى المعنى المراد منها، فتتنوع وتتعدد آراؤهم وأقوالهم بُناءً على اجتهادهم واختلاف عقولهم وأفهامهم وسِعة علمهم.

وهذه الآراء التفسيرية قد تُوافق القواعد التفسيرية، وقد تُخالفها، فينْبري لها المُفسِّرون بالنَّقد والتمحيص، لبيان الصَّحيح منها والسَّقيم، إلا أن عملية النقد لا تتم جزافًا، وإنما تعتمد على أُسسٍ علميةٍ رصينةٍ، وقواعد تفسيرية متينة.

والمفسِّرون وهم يمارسون عملية النقد لا يتفقون في منهجيةٍ نقديةٍ واحدة، وإنما تتعدد مناهجهم النقدية، بين النقد وعدمه، وإعمال قواعد النقد وإهمالها، والإيجاز والإطناب، وغيرها.

وقد آثرتُ – بعون الله وتوفيقه – أن أُبْرز اختلاف المنهج النقدي عند المفسرين وإعمالهم للقواعد النقدية وإهمالها، من خلال بعض النماذج التطبيقية التي قام المفسِّرون بنقدها.

منهجي في البحث:

١- وضع الآية محلِّ الدراسة في أعلى الصفحة.

٢- ذكر الآراء التفسيرية محل النقد.

٣- ذكر نُقود المفسِّرين لتلك الآراء.

٤- تحليل المنهج النقدي لكل مفسِّر.

٥- المقارنة بين مناهج المفسرين النقدية لإبراز أوجه التفاوت في مناهجهم النقدية.

وقد قسَّمتُ البحث إلى مُقدِّمة، وأربعة بُحوث، وخاتمة، وفهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

فأما المقدِّمة فقد بينتُ فيها أهمية البحث، ومنهجي في تناوله، وأما الأربعة مباحث فهي:

المبحث الأول: حقيقة النَّقد، ودواعيه، وقواعده.

المبحث الثاني: المنهج النَّقدي للمفسِّرين فيما يتعلق بمعاني الألفاظ.

المبحث الثالث: المنهج النقدي للمفسِّرين فيما يتعلق بجانب الإسرائيليات.

المبحث الرابع: المنهج النقدي للمفسِّرين فيما يتعلق بأسباب النزول.

وأما **الخاتمة**، فقد تناولت فيها نتائج البحث ومقترحاته، ثم ذيَّلتُ البحث بفهرس للمراجع والموضوعات.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأوَّل
حقيقةُ النَّقد، ودواعيه، وقواعده

لغة:

من خلال البحث في معاجم اللغة حول مادة "نقَدَ" نجد أنها تدور حول تمييز الجيِّد من الرديء، والطيِّب من الخبيث، والتأمل في الشيء بالنظر والبحث والتحليل لكشف حالته من حيث الجوْدة والرَّداءة.

فقد جاء في معجم تاج العروس: "والنَّقْدُ: تَمْيِيزُ الدَّارهِمِ، وإِخراجُ الزَّيْفِ منها، وكذا تَمييزُ غَيْرِها، كالتَّنْقَادِ والتَّنَقُّدِ، وقد نَقَدها يَنْقُدُها نَقْداً، وانْتَقَدها، وتَنَقَّدها، إِذا مَيَّزَ جَيِّدها مِن رَدِيئها"(١).

وفي معجم مقاييس اللغة: "ومن الباب: نَقْد الدِّرهم، وذلك أن يُكشَف عن حالِهِ في جَودته أو غير ذلك، ودرهمٌ نَقْدٌ: وازِنٌ جيّد، كأنَّه قد كُشِف عن حاله فعُلِم"(٢).

اصطلاحا:

مصطلح النقد كان شائعًا في الدراسات الأدبية، ولم يكن شائعًا في الدراسات التفسيرية، إلا أن مضمونه كان موجودًا منذ عهد النُّبوة إلى عصرنا هذا، ومارسه الصحابة والتابعون، وكذلك المفسِّرون في كتبهم.

حقيقة النقد في الاصطلاح: التفسير والتحليل والحُكْم، أي أن الناقد يمُرُّ بمرحلتين: **المرحلة الأولى:** مرحلة النظر في النص بتفحُّصٍ وتدبُّرٍ، وتحليله

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، (٩/٢٣٠). والمعجم الوسيط، (٢/٩٤٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٥/٤٦٧).

وتفسيره، ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية: وهي الحكم عليه، ونقْدُه، وتمييز جيده من رديئة، وصحيحه من سَقيمه، بغرض محاولة الوصول للمعنى المراد.[1]

ويقول الباقلاني: "وجملة الأمر أن نقد الكلام شديدٌ وتمييزه صعبٌ.... وإذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس يشق تمييزه، ويصعب نقده، ويذهب عن محاسنه الكثير، وينظرون إلى كثيرٍ من قبيحه بعين الحُسْن، وكثيرٍ من حُسْنه بعين القُبْح، ثم يختلفون في الأحسن منه اختلافًا كثيرًا، وتتباين آراؤهم في تفضيل ما يفضل منه"[2]. فيُشير إلى أنَّ الناقد لابد أن يكون ضليعًا في تخصصه، ملمًا بأدواته، متمرسًا، ذا خبرةٍ، ونظرةٍ ثاقبةٍ واعيةٍ.

فالعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي متقاربة، تكمن في: فحْص النَّص وتحليله وتفسيره، والحكم عليه بتمييز الجيد من الرديء، والصَّحيح من السَّقيم، والقوي من الضَّعيف.

أي أن المفسِّر بما يملكه من أدوات تفسيرية تُؤهِّلُه للنَّقد، يقوم بالفحْص والنظر والتأمُّل في الأقوال والدلالات التفسيرية المختلفة، ويعرضها على القواعد التفسيرية المتَّفق عليها، ثم يحكم عليها فيُميِّز بين صحيحها وضعيفها، بُغية القُرْب من مُراد الله (ﷻ) من النص القرآني.

دواعي النقد في التفسير:

ينقسم النص القرآني من حيث الدلالة إلى قسمين: قطعي الدلالة: أي لا يحتمل إلا معنى واحدًا، وظني الدلالة: أي يحتمل أكثر من دلالة ومعنى، وقد

(١) مقدمة في النقد الأدبي، د. علي جواد الطاهر، ص٣٣٩. وانظر منهج النقد في التفسير، د. إحسان الأمين، ص١٥.

(٢) إعجاز القرآن، (ص: ٢٠٣).

خلق الله العُقُول متفاوتة في الفهم والاستنباط، وعند إمعانها في النصوص القرآنية ظنية الدلالة فقد تصيب وقد تخطئ.(١)

ولذلك كثُرت الأقوال والآراء التفسيرية في الآية الواحدة، ودُوِّنت قديمًا في كتب التفسير، أما حديثًا فقد ظهرت قراءات حداثية للنصوص القرآنية، تُخالف الثَّوابت الدِّينية، فكان لابد من ظهور النقد للأقوال والآراء والقراءات التفسيرية المخالفة لمراد الله (ﷻ)، بُناءً على أُسُسٍ وقواعد وأصول تفسيرية يتم الاعتماد عليها، ومن الأمور التي ظهرت في التفسير، واستدعت ظهور النقد التفسيري، ما يلي:

ظهرت في نوعي التفسير، المأثور والرأي، نقاط ضعفٍ، استدعت الفحص والتمحيص للتفسير الوارد في كتب التفسير، وهذه النقاط تتمثل فيما يلي:

١- تنزيل اللفظ القرآني على غير ما يُراد منه، وإلصاق ذلك بالقرآن لصقًا، من غير أن يكون في اللفظ دلالة عليه، بحيث لا يشهد له سياق، ولا سباق.

٢- عدم التمييز بن الصحيح والضعيف، والموضوع، وبين المقبول، والمردود، وعدم التفرقة بين الجيِّد والرَّديء، والاكتفاء بذكر الأسانيد من غير نقد للرواة.

٣- عدم التمييز بين الدخيل، وغير الدخيل، والإكثار من النقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وفيه الكثير من الإسرائيليات والخرافات، والأباطيل التي لا يشهد لها نقل صحيح، ولا عقل سليم.

٤- حذف الأسانيد، ونقل الأقوال من غير عزوها إلى قائليها، ولا بيان مم استُقِيَتْ؟ ومن أين جاءت؟ وبذلك التبس الحق بالباطل، واختلط الخطأ بالصواب، فصار من يسنح له رأي يذكره، ولو كان خطأ، ومن يقع على

(١) انظر الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٣٥٧).

قول ينقله، ولو كان باطلا، فجاء من بعدهم فنقله، ظانا أن له أصلا، وهو قول مخترع، مبتدع، باطل.(١)

٥- التفسير بمجرد الرأى والهوى، دون استناد إلى أصول التفسير، أو إلى العلوم التى هى في الواقع أدوات لفهم كتاب الله والكشف عن أسراره ومعانيه، وهو ما يسمى بالرأي المذموم.(٢)

قواعد التفسير التي يستند إليها المفسر عند تعرضه للنقد:

عندما يقوم المفسر بنقد الأقوال والمرويات التفسيرية وترجيح بعضها على بعض لا بد أن يعتمد على قواعد نقدية، وضوابط تفسيرية، وأسس علمية، لكي يكون نقده قويا مقبولا، مجردا عن الأهواء، والأغراض، والمذاهب المختلفة.

ومن العلوم التي يحتاج إليها المفسر عند تفسيره ونقده:

١- اللغة العربية، لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

٢- علم النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

٣- علم التصريف، لأن به تعرف الأبنية والصيغ.

٤- علم الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما.

٥، ٦، ٧ - علوم المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني: خواصها من حيث اختلافها

(١) انظر الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، (ص: ١٤٤). وانظر التفسير والمفسرون، (١٤٣/١).

(٢) انظر التفسير والمفسرون، (٢٦٢/١).

بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث: وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد لـــه مـــن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم.

٨- علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

٩- أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدَّالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى.

١٠- أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

١١-أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزَّلة فيـــه بحسب ما أنزلت فيه.

١٢- الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

١٣- الفقه.

١٤- الأحاديث المبيِّنة لتفسير المجمل والمبهم.

١٥- علم الموهبة وهو علم يُورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.(١)

ومن بين القواعد التفسيرية التي ينبغي مراعاتها عند تفسير كتاب الله (ﷻ)، وكذلك عند نقد المرويات والأقوال التفسيرية، ما ذكره الشيخ البوطي من شروط حين قال:

"**(الشرط الأول):** التزام القول بما ورد عن رسول الله (ﷺ) في ذلك إذا كان فيه حديث ثابت صحيح؛ قالوا: ولكن ينبغي الحذر من الوقوع في الضعيف والموضوع أيضا، وقد بيّن العلماء ذلك وميّزوه.

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن، (٤/٢١٣ ــ ٢١٥) بإيجاز.

(الشرط الثاني): التزام الأخذ بقول الصحابة إذا كان قد أثر عنهم في ذلك قول، وهذا ما ذهب إليه الأكثر من أن تفسير الصحابة للقرآن يعتبر في حكم المرفوع إلى النبي (ﷺ) وذلك لأنه ليس من قبيل الرأي وإنما هو في الحقيقة من قبيل الرواية.

(الشرط الثالث): التزام قواعد اللغة العربية وضوابطها ومقاييسها في التفسير، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وإنما تفسره الدلالات اللغوية والقواعد العربية، فمن لم يكن ذا بصيرة سليمة في فهم العربية فليس له أن يفسر شيئا من كتاب الله (ﷻ).

(الشرط الرابع): التزام المقتضى الذي يدل عليه العلم بكتاب الله تعالى، والتزام أصول الشرع وقواعده في الفهم والاستنباط والاجتهاد كالمفهوم والفحوى ودلالة العام والخاص والمطلق والمقيد، وهي في مجموعها إنما تعتبر ملكة علمية تؤهل صاحبها لاستنباط المعاني والأحكام من كتاب الله (ﷻ)"[1].

مصطلح النقد في كتب المفسرين:

لم يكن مصطلح النقد شائعا في كتب التفسير، ولم يكثر المفسرون من استخدامه عند تعرضهم لنقد المرويات والأقوال التفسيرية، وليس معنى هذا أن النقد بمفهومه ومعناه لم يكن موجودا عند المفسرين، وإنما طبق المفسرون مفهوم النقد ومارسوه من خلال استخدام ألفاظ أخرى، مثل: التعقيبات، الاستدراكات، الترجيحات، التنبيهات ... وهكذا.

(١) من روائع القرآن، (ص: ٧٨ ــ ٧٩).

المبحث الثاني

المنهج النقدي للمفسرين فيما يتعلق بمعاني الألفاظ

النموذج الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ النساء: ٣٤

نقد بعض المفسرين للآراء الواردة في بيان معنى "الهجر" وتحليل منهجهم النقدي:

رأي الإمام الطبري في بيان معنى "الهجر":

قال الطبري بعد أن ذكر الأقوال في معنى "الهجر" مرجحًا بينها: "فإذ كان في كلّ هذه المعاني ما ذكرنا من الخلل اللاحق، فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله: "واهجروهن"، موجَّهًا معناه إلى **معنى الرّبط بالهجار**(١)، على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا: "هَجَره فهو يهجره هجْرًا"(٢).

نقد المفسرين لرأي ابن جرير الطبري:

١- **قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ ناقدا لرأي الطبري:** "يَا لَهَا هَفْوَةٌ مِنْ عَالِمٍ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنِّي لَأَعْجَبَكُمْ مِنْ ذَلِكَ، إنَّ الَّذِي أَجْرَأَهُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُصَرِّحَ بِأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْهُ، هُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ أَنَّ أَسْمَاءَ

(١) الهِجار: حَبْل يُعْقَدُ فِي يَدِ الْبَعِيرِ وَرِجْلِهِ فِي أَحد الشِّقَّيْنِ. لسان العرب، (٢٥٦/٥)، مادة "هجر". وانظر اللباب في علوم الكتاب، (٣٦٤/٦).

(٢) تفسير الطبري، (٣٠٩/٨).

بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ امْرَأَةَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ كَانَتْ تَخْرُجُ حَتَّى عُوتِبَ فِي ذَلِكَ، قَالَ: وَعَتَبَ عَلَيْهَا وَعَلَى ضَرَّتِهَا(١)، فَعَقَدَ شَعْرَ وَاحِدَةٍ بِالْأُخْرَى، وَضَرَبَهُمَا ضَرْبًا شَدِيدًا، وَكَانَتْ الضَّرَّةُ أَحْسَنُ اتِّقَاءً، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ لَا تَتَّقِي، فَكَانَ الضَّرْبُ بِهَا أَكْثَرَ وَآثَرَ، فَشَكَتْهُ إلَى أَبِيهَا أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا: أَيْ بُنَيَّةَ اصْبِرِي، فَإِنَّ الزُّبَيْرَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ زَوْجَكِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ إذَا ابْتَكَرَ بِالْمَرْأَةِ تَزَوَّجَهَا فِي الْجَنَّةِ(٢)، فَرَأَى الرَّبْطَ وَالْعَقْدَ مَعَ احْتِمَالِ اللَّفْظِ مَعَ فِعْلِ الزُّبَيْرَ، فَأَقْدَمَ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ لِذَلِكَ .

وَعَجَبًا لَهُ مَعَ تَبَحُّرِهِ فِي الْعُلُومِ وَفِي لُغَةِ الْعَرَبِ كَيْفَ بَعُدَ عَلَيْهِ صَوَابُ الْقَوْلِ، وَحَادَ عَنْ سَدَادِ النَّظَرِ، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ وَالْحَالَةُ هَذِهِ مِنْ أَخْذِ الْمَسْأَلَتَيْنِ مِنْ طَرِيقِ الِاجْتِهَادِ الْمُفْضِيَةِ بِسَالِكِهَا إلَى السَّدَادِ، فَنَظَرْنَا فِي مَوَارِدِ "هـ ج ر "فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ فَوَجَدْنَاهَا سَبْعَةً: ضِدَّ الْوَصْلِ، مَا لَا يَنْبَغِي مِنْ الْقَوْلِ، مُجَانَبَةُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ الْهَجْرَةُ، هَذَيَانُ الْمَرِيضِ، انْتِصَافُ النَّهَارِ، الشَّابُّ الْحَسَنُ، الْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ فِي حِقْوِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يُشَدُّ فِي أَحَدِ رُسْغَيْهِ، وَنَظَرْنَا فِي هَذِهِ الْمَوَارِدِ فَأَلْفَيْنَاهَا تَدُورُ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْبُعْدُ عَنْ الشَّيْءِ فَالْهَجْرُ قَدْ بَعُدَ عَنْ الْوَصْلِ الَّذِي يَنْبَغِي مِنْ الْأُلْفَةِ وَجَمِيلِ الصُّحْبَةِ، وَمَا لَا يَنْبَغِي مِنْ الْقَوْلِ قَدْ بَعُدَ عَنْ الصَّوَابِ، وَمُجَانَبَةُ الشَّيْءِ بُعْدٌ مِنْهُ وَأَخْذٌ فِي جَانِبٍ آخَرَ عَنْهُ، وَهَذَيَانُ الْمَرِيضِ قَدْ بَعُدَ عَنْ نِظَامِ الْكَلَامِ، وَانْتِصَافُ النَّهَارِ قَدْ بَعُدَ عَنْ طَرَفَيْهِ الْمَحْمُودَيْنِ فِي اعْتِدَالِ الْهَوَاءِ وَإِمْكَانِ التَّصَرُّفِ، وَالشَّابُّ الْحَسَنُ قَدْ بَعُدَ عَنْ الْعَابِ، وَالْحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْبَعِيرُ قَدْ أَبْعَدَهُ عَنْ اسْتِرْسَالِهِ فِي تَصَرُّفِهِ وَاسْتِرْسَالِ مَا رُبِطَ عَنْ

(١) ضَرَّة: إحدى زوجتي الرَّجل، أو إحدى زوجاته. معجم اللغة العربية المعاصرة، (١٣٥٨/٢)، مادة "ضرر".

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، (٢٥١/٨)، أسماء بنت أبي بكر الصديق.

تَقَلْقُلِه وَتَحَرُّكِه، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا، **وَكَانَ مَرْجِعُ الْجَمِيعِ إِلَى الْبُعْدِ فَمَعْنَى الْآيَةِ: أَبَعِدُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**، وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّكَلُّفِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعَالِمُ، وَهُوَ لَا يَنْبَغِي لِمِثْلِ السُّدِّيِّ وَالْكَلْبِيِّ فَكَيْفَ أَنْ يَخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ"(١).

١- نلاحظ أن ابن العربي اعتمد في نقده على تفكيك الأدلة التي استند إليها الطبري في ترجيحه واستنباطه لمعنى "الهجر"، فذكر ما اعتمد عليه الطبري من أحاديث، وبيَّن وضعها وبطلانها، حيث قال: "وَإِنِّي لَأَعْجَبَكُمْ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّ الَّذِي أَجْرَأَهُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُصَرِّحَ بِأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْهُ، **هُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ** رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ امْرَأَةَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ كَانَتْ تَخْرُجُ حَتَّى عُوتِبَ فِي ذَلِكَ...".

وهذا يدل على أن ما فعله ابن العربي من بيان وضع الأحاديث التي اعتمد عليها الطبري في ترجيحه، يعتبر منهجًا نقديًا قويًا، يعمل على هدم جذور ومنبع المعاني الباطلة، التي تتهاوى أمام قوة النقد والحُجة والمنطق.

٢- وكذلك اعتمد ابن العربي في نقده لرأي الطبري في معنى "الهجر" على الجانب اللغوي، حيث بحث عن جذور مادة "هجر" في معاجم اللغة العربية، للوصول إلى أصل معناها عند العرب، فوجد أن معناها: "البُعْد"، ولذلك قال: "فَنَظَرْنَا فِي مَوَارِدِ "هـــ ج ر "فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ فَوَجَدْنَاهَا سَبْعَةً...وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا، **وَكَانَ مَرْجِعُ الْجَمِيعِ إِلَى الْبُعْدِ**، فَمَعْنَى الْآيَةِ: أَبَعِدُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّكَلُّفِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعَالِمُ، وَهُوَ لَا يَنْبَغِي لِمِثْلِ السُّدِّيِّ وَالْكَلْبِيِّ فَكَيْفَ أَنْ يَخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ".

(١) أحكام القرآن لابن العربي، (٢/٢٩٢- ٢٩٤).

٣- ومن هنا نلاحظ أن منهجية ابن العربي النقدية تعتمد على الهدم والتأسيس، أي هدم جذور المعاني الباطلة أولا، ثم التأسيس للمعنى الصحيح بناء على القواعد النقدية، وهي من أقوى المناهج النقدية عند المفسرين.

٢ــ قال القرطبي: "وقيل: أي شدوهن وثاقًا في بيوتهن، من قولهم: هجر البعير أي ربطه بالهجار، وهو حبل يشد به البعير، وهو اختيار الطبري، وقدح في سائر الأقوال". ثم قال القرطبي ناقدا لقول الطبري: "**وفي كلامه في هذا الموضع نظر**"(١).

تحليل منهجه النقدي:

١- نلاحظ أن القرطبي في نقده اكتفى بالتشكيك في اختيار الطبري، وطالب بإعادة النظر فيه ومراجعته، دون التطرق لآليات وقواعد النقد، وبيان القول الراجح من المرجوح، فجاء نقده موجزا، يتطلب من المفسرين الآخرين التدخل لمزيد من الإيضاح والبيان، بناء على أسس النقد وقواعده.

٢- ومن هنا يتبين لنا وجود فرق واضح في المنهجية النقدية لكل من القرطبي وابن العربي، فإذا كانت المنهجية النقدية لابن العربي تعتمد على هدم جذور المعاني الباطلة، والتأسيس للمعاني الصحيحة بناءً على آليات وقواعد النقد التي ذكرها أثناء نقده، فإن نقد القرطبي جاء موجزا، خاليا من آليات النقد وقواعده.

(١) تفسير القرطبي (١٧٢/٥).

النموذج الثاني

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ – ٢٦.

نقد بعض المفسرين للآراء الواردة في بيان معنى "الشجرة الطيبة" و "الشجرة الخبيثة" و "الحِين" وتحليل منهجهم النقدي:

١ – قال الرازي مبينًا تعدد الأقوال حول معاني الألفاظ السابقة: "المسألة الثالثة: قال ابن عباس: الكلمة الطيبة هي قول لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي النخلة في قول الأكثرين، وقال صاحب (الكشاف) إنها كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان[١]، وأراد بشجرة طيبة الثمرة إلا أنه لم يذكرها لدلالة الكلام عليها...واختلفوا في تفسير هذا الحين، فقال ابن عباس ستة أشهر لأن بين حملها إلى صرامها ستة أشهر..وقال مجاهد وابن زيد: سنة، لأن الشجرة من العام إلى العام تحمل الثمرة، وقال سعيد بن المسيب: شهران لأن مدة إطعام النخلة شهران، وقال الزجاج: جميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهبون إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أم قصرت، والمراد من قوله: **(تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ)** أنه ينتفع بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلاً أو نهاراً أو شتاء أو صيفاً، قالوا: والسبب فيه أن النخلة إذا تركوا عليها الثمر من السنة إلى السنة انتفعوا بها في جميع أوقات السنة"[٢].

(١) تفسير الكشاف (٥١٩/٢).

(٢) تفسير الرازي، (٩٥/١٩).

ثم عقب الإمام الرازي على تلك الأقوال منتقدًا لها قائلا: "وأقول: هؤلاء وإن أصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآية إلا أنهم بعُدوا عن إدراك المقصود، لأنه تعالى وَصَف هذه الشجرة بالصفات المذكورة، ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها، فإنا نعلم بالضرورة أن الشجرة الموصوفة بالصفات الأربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل أن يسعى في تحصيلها وتملكها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن، لأن هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل واختلافهم في تفسير الحين أيضًا من هذا الباب والله أعلم بالأمور"(١).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) اعتمد الرازي في نقده على قاعدة تفسيرية مهمة، لا غنى عنها لأيٍّ مفسِّر عند تصدِّيه لتحديد المراد من ألفاظ القرآن الكريم، مفادها: أن اللفظة القرآنية وإن كان لها معانٍ متعددة في اللغة العربية، إلا أن أكثرها قد يكون غير مُراد من الآية الكريمة، وإنما المراد والمقصود معنى واحد، وهو أحد المعاني اللغوية، التي تتناسب مع الغرض العام للآيات التي وردت فيها اللفظة، مما يشير إلى أن اللفظة القرآنية تُفسَّر في ضوء الغرض العام للآيات، وهذه قاعدة اعتمد عليها الرازي في نقده.

وتظهر هذه القاعدة جلية وواضحة في قول الرازي: "**هؤلاء وإن أصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآية إلا أنهم بعدوا عن إدراك المقصود**".

(ب) ومما اعتمد عليه الرازي في نقده أيضًا، قاعدة: أن العبرة بالصفات لا بالذوات والأشخاص، حين قال: "**لأنه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة، ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها**". وما على

(١) تفسير الرازي، (٩٥/١٩).

المؤمن إلا أن يقوم بتحصيل الصفات والهدايات القرآنية، دون النظر في تعيين الأشخاص والذوات.

وهو عيْنُ ما ذكره ابن عطية في نقده حين قال: "**والظاهر عندي أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذا وجدت فيها هذه الأوصاف**"(١).

(جـ) ومن هنا نلاحظ أن منهج الرازي النقدي يتميز بالاعتماد على آليات النقد، والقواعد التفسيرية، التي تُعْطي الكلام قوةً وثقةً وقبولًا.

******

٢- **قال ابن كثير:** "وقوله: {**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**} قيل: غدوة وعشيًا، وقيل: كل شهر، وقيل: كل شهرين، وقيل: كل ستة أشهر، وقيل: كل سبعة أشهر، وقيل: كل سنة".

ثم قال ابن كثير ناقدا لتلك الأقوال: "والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين"(٢).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن ابن كثير اعتمد في نقده على قاعدة تفسيرية مهمة من قواعد الترجيح، وآلية من آليات النقد، وهي سياق الآيات، أي الغرض العام الذي سيقت من أجله الآيات، دون الدخول في تفاصيل لا طائل من ورائها، ولذلك صدَّر ابن كثير تعقيبه ونقده للأقوال بقوله: "والظاهر من السياق...".

(١) المُحرَّر الوجيز، (٣/٣٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير، (٢/٦٤٥).

(ب) كما أن ابن كثير اعتمد في نقده على ما ظهر من الآيات من معانٍ وهدايات، ناقدا الأقوال والآراء التي لا دليل عليها من قرآن أو سنة صحيحة، ولذلك بدأ ابن كثير نقده بكلمة "والظاهر.."، وهي آلية من آليات نقد الأقوال التي تفتقد الدليل.

(جـ) ونلاحظ التنوع في منهجية النقد بين الرازي وابن كثير، فإذا كان الرازي أشار إلى الناحية اللغوية للألفاظ القرآنية، وتعدد معانيها، وتعيين المراد منها داخل النص القرآني، فإن ابن كثير أشار إلى آلية من آليات النقد، وقرينة من قرائن الترجيح وتعيين المراد، وهي السياق القرآني.

******

٣- قال الطبري بعد أن ذكر الآراء في معنى "الحين": "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قولُ من قال: عنى بالحين، في هذا الموضع، غدوةً وعشيةً، وكلَّ ساعة، لأن الله تعالى ذكره ضَرَب ما تؤتي هذه الشجرة كلَّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامِه مثلا، ولا شك أن المؤمن يُرفع لهُ إلى الله في كلّ يوم صالحٌ من العمل والقول، لا في كل سنة، أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين، فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن المَثَل لا يكون خِلافًا للمُمَثَّل به في المعنى، وإذا كان ذلك كذلك، كان بَيّنًا صحةُ ما قلنا"(١).

تحليل منهجه النقدي:

اعتمد ابن جرير الطبري في نقده للأقوال والآراء على آلية نقدية أخرى، تختلف عن آليات الرازي وابن كثير، وهي الناحية البلاغية، حيث ذكر أنه ينبغي المطابقة والمماثلة بين المُشبَّه والمشبَّه به، والمثل والمُمثَّل به في المعنى.

(١) تفسير الطبري، (٥٨٢/١٦).

فكما أن المؤمن الحقيقي يداوم على العطاء والعمل الصالح ليل نهار، فكذلك الشجرة الطيبة دائمة العطاء صباحًا ومساءً، ليلا ونهارًا، فكيف نُحدِّد مدة زمنية لعطاء الشجرة؟! هذا يؤدي إلى الاختلاف في المعنى بين المثل والمُمثَّل به، **ولذلك أشار ابن جرير الطبري في ثنايا نقده إلى هذه القاعدة البلاغية فقال: "فلا شك أن المَثَل لا يكون خِلافًا للمُمَثَّل به في المعنى".**

وهذا يدل على نُبُوغ ابن جرير الطبري، وشدة ذكائه، وسِعة علمه واطِّلاعه، وتنوع معارفه وعلومه.

النموذج الثالث

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ الحجر: ١٦.

نقد بعض المفسرين للآراء الواردة في بيان معنى "البروج" وتحليل منهجهم النقدي:

١- **قال القرطبي في بيان معنى "البروج"**: والبروج: القصور والمنازل، قال ابن عباس: أي جعلنا في السماء بروج الشمس والقمر، أي منازلهما ... وأصل البروج الظهور، ومنه تبرج المرأة بإظهار زينتها..وقال الحسن وقتادة: البروج النجوم، وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها، وقيل: الكواكب العظام، قال أبو صالح: يعنى السبعة السيارة، وقال قوم: "بروجًا"، أي قصورًا وبيوتًا فيها الحرس، خلقها الله في السماء"(١).

ثم قال القرطبي معقبًا على تلك الآراء: "فالله أعلم"(٢).

(١) تفسير القرطبي، (٩/١٠).

(٢) تفسير القرطبي، (١٠/١٠).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن القرطبي فوَّض علم صحة تلك الأقوال إلى الله (ﷻ) وهذا التفويض فيه إشارة إلى التشكيك في تلك الأقوال المذكورة، وعدم الترجيح بينها، لفقدان الأدلة القوية على صحتها، وهذا نوع من أنواع النقد التفسيري.

(ب) لم يستخدم القرطبي آليات النقد وقواعده، في نقد الأقوال والترجيح بينها، بل اكتفى بالتشكيك فيها من طرف خفي، فجاءت عبارته النقدية موجزة ومُخِلَّه.

******

٢- **قال الطبري بعد أن ذكر الأقوال الواردة في معنى "البروج":** "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معنى ذلك: والسماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله: **(وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)** هي منازل مرتفعة عالية في السماء"[(١)].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن الطبري نقد الأقوال ورجَّح بينها، مستعيناً بأدوات النقد وقواعده، فقد استخدم اللغة العربية كوسيلة من وسائل الترجيح بين الأقوال التفسيرية، حيث ذكر معنى اللفظة القرآنية في المعاجم العربية، حين قال: "**وذلك أن البروج جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة**".

(ب) وكذلك استعان الطبري في نقده وترجيحه بقاعدة تفسيرية أخرى، وهي: السياق العام للقرآن، كقرينة لبيان معنى اللفظة القرآنية في السياق القرآني عامة، حيث قال: "**ومن ذلك قول الله: (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) هي منازل**

(١) تفسير الطبري، (٣٣٢/٢٤).

مرتفعة عالية في السماء"، وهو نوع من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، وهو من أعظم التفاسير وأجلها.

(جـ) فإذا كان نقد القرطبي نقدًا موجزا مُخلًّا، خاليا من آليات النقد وقواعده، إلا أن الإمام الطبري استعان بآليات النقد وقواعده في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، فكان نقده معتمدًا على أسس وقواعد علمية رصينة.

******

٣- **قال ابن عطية:** "وحكى النقاش عن ابن عباس أنه قال: "**فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ** "معناه في قصور من حديد، قال القاضي أبو محمد: **وهذا لا يعطيه اللفظ،** وإنما البروج في القرآن إذا وردت **مقترنة بذكر السماء** بروج المنازل للقمر وغيره، على ما سمتها العرب وعرفتها"(١).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن ابن عطية قام بنقد الآراء التفسيرية المرجوحة، معتمدا على قاعدة تفسيرية مهمة وهي: مخالفة هذه الأقوال التفسيرية لظاهر النص القرآني، حيث قال بعد أن ذكر رأيا مرجوحًا: "**وهذا لا يعطيه اللفظ**".

(ب) وهذه ميْزة انفرد بها ابن عطية عن الطبري، فإذا كان الطبري لم يتعرض لنقد الآراء المرجوحة، واكتفى بذكر الراجح، مدعِّما ترجيحه بقواعد الترجيح، فإن ابن عطية قام بنقد الآراء المرجوحة بناء على القواعد التفسيرية، وهذا فارق واضح في منهجية كل منهما.

(جـ) كما أن ابن عطية بنى ترجيحه على قاعدة تفسيرية مهمة لم يذكرها الطبري، وهي: وجود قرينة في الآية دالة على المعنى المراد، أو ما يُسمى

(١) المحرر الوجيز، (٩٦/٢).

سياق الآية، حيث قال: "وإنما البروج في القرآن إذا وردت **مقترنة بذكر السماء** بروج المنازل للقمر وغيره".

وهكذا تظهر الفروق الواضحة بين المنهجية النقدية للمفسرين، فبعضهم يقوم بنقد الآراء المرجوحة معتمدا على قواعد وآليات النقد، في حين يتركها البعض الآخر، مكتفيا بذكر الرأي الرجح مدعوما بالقواعد والآليات النقدية.

وكذلك تظهر الفروق واضحة في القواعد والآليات النقدية التي يعتمد عليها كل مفسِّر في ترجيحه، فهي تختلف من مُفسِّر لآخر.

المبحث الثالث

المنهج النقدي للمفسرين فيما يتعلق بجانب الإسرائيليات

النموذج الأول

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ النمل: ٣٥.

نقد المفسرين لروايات تعيين الهدية وتحليل منهجهم النقدي:

١ – قال البغوي: "فأهدت إليه وصْفاء[١] ووصائف، قال ابن عباس: أَلْبَسَتْهم لباسًا واحدًا كي لا يُعْرف الذَّكر من الأنثى. وقال مجاهد: أَلْبَستِ الغِلمان لباس الجواري وألبست الجواري لباس الغِلمان، واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة وصِيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد ومقاتل: مائتا غلام ومائتا جارية. وقال قتادة وسعيد بن جبير: أرسلت إليه بلبِنةٍ من ذهبٍ في حرير وديباج. وقال ثابت البناني: أهدت إليه صفائح من الذَّهب في أوعية الديباج. وقيل: كانت أربع لبنات من ذهب...."[٢].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن البغوي (رحمه الله) اعتمد في منهجه النقدي على الإعراض عن التعليق على هذه الروايات الواردة في بيان معنى الهدية، بالصحة أو البطلان، والاكتفاء بنقلها وتدوينها، وذلك لعدم توافر الأدلة لديه على الحكم عليها، وكأنه يشير إلى أن تلك الروايات تحتمل الصدق والكذب، فآثر السكوت وعدم التعليق عليها.

---

(١) الوَصِيف: الْعَبْدُ، والأَمة وَصِيفَةٌ .. والوَصِيف: الْخَادِمُ، غُلَامًا كَانَ أَو جَارِيَةً. لسان العرب، (٣٥٧/٩).

(٢) تفسير البغوي، (٥٠٢/٣ – ٥٠٣)، وانظر تفسير الطبري، (٤٥٥/١٩).

(ب) أشار البغوي إلى الاختلاف والاضطراب بين الأقوال عندما قال: "واختلفوا في عددهم.." دون أن يُرجِّح بينها، لعدم توافر وجه من أوجه الترجيح، من دليلٍ أو قرينةٍ يُعتمد عليها، مما يدل على فُقْدان الثقة في تلك الأقوال.

(جـ) ذكر البغوي بعض الأقوال بصيغة التمريض والتضعيف، وهي: "قيل، وروي،.."، مما يدل على تضعيفه لتلك الأقوال.

(د) نقل البغوي الأقوال والروايات دون ذكر أسانيدها، وذلك لوجود شك في صحتها، ونسبتها إلى قائليها.

******

٢- قال أبو حيان: "وجاء لفظ الهدية مبهمًا، وقد ذكروا في تعيينها أقوالاً مضطربة متعارضة، وذكروا من حالها ومن حال سليمان حين وصلت إليه الهدية، وكلامه مع رسولها ما الله أعلم به"(١).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) أعرض أبوحيان (رحمه الله) عن ذكر الروايات الواردة في تعيين الهدية في تفسيره، وهذا الإعراض بمثابة نقدٍ لها، ورفضٍ لمضمونها، وبُعد لاحتمالية صدق الروايات وكذبها.

(ب) ثم بدأ أبوحيان يُعدِّد أسباب إعراضه وآليات نقده لتلك الروايات، ليكون نقده مبنيًا على أُسُس وضوابط علمية رصينة، وليس أهواء باطلة.

(جـ) وأولى آليات النقد عند أبي حيان، اعتماده على القواعد الأصولية في فهم النصوص والألفاظ القرآنية، حيث ذكر مجيء لفظ "الهدية" مبهمًا، وليس معينًا بما جاء في الروايات، وتعيين المبهم لا يكون إلا بنص صريح من قرآن

(١) تفسير البحر المحيط، (٥٤/٧).

أو سنة صحيحة، وعند فقدانه وجب التوقف عند ظاهر اللفظة القرآنية، إذ إن التوقف أولى من الأخذ بتلك الإسرائيليات.

(د) وثاني آليات النقد عند أبي حيان، الاضطراب والتعارض بين الأقوال والروايات الواردة في تعيين "الهدية"، فقد افترض جدلًا الأخذ بتلك الأقوال والروايات إذا لم نأخذ بظاهر اللفظ المُبْهم، فوجد أنها متعارضة ومتضاربة فيما بينها، والأقوال المتعارضة لابد لها من مُرجِّح، يزيل هذا التعارض والإشكال، ولمَّا فُقِد المرجِّح من دليل صريح أو قرينة واضحة سقط الأخذ بأحد الأقوال أو إحدى الروايات.

(هـ) وثالث آليات النقد عند أبي حيان، فقدان الدليل من قرآن أو سنة صحيحة على كل ما جاء في الروايات والأقوال من تعيين للهدية، وذكر أحوالها وأحوال سيدنا سليمان (عليه السلام)، وقد عبَّر أبو حيان عن غياب الدليل على تلك المرويات بعبارة قوية تُوحي إلى فقدان الثقة فيها، وعدم الأخذ بها، فقال: "وذكروا من حالها ومن حال سليمان حين وصلت إليه الهدية، وكلامه مع رسولها **ما الله أعلم به**". فهو يقصد أنه لا علم لأحد من البشر بتعيين الهدية، وإنما العلم بها مُفوَّض إلى الله وحده.

(و) ومن خلال هذا التحليل لمنهج أبي حيان النقدي، تجد أن نقده مبنيٌ على أسبابٍ علميةٍ، ومنهجيةٍ رصينةٍ، وقواعد واضحة، وهو ما يختلف تمامًا عن المنهج النقدي للبغوي.

******

٣- قال القرطبي: "فبعثت إليه بهدية عظيمة، أكثر الناسُ في تفصيلها"[١].

(١) تفسير القرطبي، (١٣/١٩٦).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن للإمام القرطبي منهجية نقدية مختلفة عن غيره من المفسرين، تتَّسِم بالإيجاز والاختصار، حيث أوجز نقده لتلك الروايات في عبارة: "أكثر الناس في تفصيلها"، وهذه العبارة مع وجازتها تحوي آليات وأسباب نقده.

(ب) فقد بدأ القرطبي آليات نقده بذكر لفظ "الأكثرية"، التي يُشير من خلالها إلى زيادة عناية الناس وحرصهم على معرفة تعيين "الهدية"، إلى حد الكثرة والإطناب، وما كان لهم أن يبذلوا جهدهم، ويُتعبوا عقولهم في ذلك، لما لم يترتب على معرفتها كبير عمل أو عبادة، وإنما عليهم أن يحرصوا على معرفة الغاية من إرسال الهدية، وهي اختبار سيدنا سليمان (عليه السلام) لمعرفة ما إذا كان نبيا أم ملكا، فليست الهدية مقصودة لذاتها، وهذا شأن القرآن الكريم في جميع آياته وسوره يهتم بالعبر والعظات وليس بالأشخاص والأماكن وذوات الأشياء.

(جـ) ثم عبَّر القرطبي بلفظ "الناس"، للدلالة على مصدر تلك الأقوال والروايات، وبشريتها، وأنها ليست وحيًا أُوحي إلى النبي (ﷺ) وإنما هي إسرائيليات دخلت إلينا عن طريق أهل الكتاب، وتفاصيل قصص الأمم السابقة لا تُؤخذ إلا عن طريق الوحي.

(د) كما أن تعبير القرطبي بلفظ "في تفصيلها"، إشارة منه إلى أنه كان ينبغي على الناس الوقوف على ظاهر اللفظة القرآنية، والعناية بالأغراض والمقاصد العليا للآيات والسور القرآنية، وترك الخوض في التفاصيل والجزئيات التي لم يتعرض لها القرآن الكريم، فلو أراد الله (عز وجل) بيانها لبيَّنها.

(هـ) فمن خلال المنهج النقدي للإمام القرطبي نجد أنه عُنى في نقده بإرشاد الناس إلى ما ينبغي أن يعتنوا به عند تدبر قصص الأمم السابقة، من العناية بأغراضها ومقاصدها وعبرها ومواعظها، والاستفادة من جوانبها العقدية والتربوية والأخلاقية، دون الخوض في التفاصيل والجزئيات.

******

٤- **قال ابن عطية:** "فبعثت إليه "بهدية "عظيمة، أكثر بعض الناس في تفصيلها، فرأيت اختصار ذلك لعدم صحته"[١].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن عبارة ابن عطية هي نفس عبارة القرطبي "أكثر بعضُ الناس في تفصيلها"، وقد سبق الحديث عنها، غير أنه زاد عليها قوله: "فرأيتُ اختصار ذلك لعدم صحته".

(ب) ونلاحظ أن ابن عطية كان صريحًا وواضحًا في الحكم على تلك الروايات والأقوال الواردة في تعيين لفظ "الهدية" بعدم الصحة، بخلاف المناهج النقدية الأخرى للمفسرين، التي لا تجزم ولا تقطع بعدم الصحة، بل تترك التعليق عليها لاحتمالية الصدق والكذب.

(جـ) ومع الحكم على الروايات بعدم الصحة، ذكرها في تفسيره بإيجاز، لأمانة النقل ممن سبقه من المفسرين، مع التنبيه على بطلانها.

(د) اكتفى ابن عطية بالحكم على الروايات والأقوال بعدم الصحة، دون أن يذكر آليات وأسباب نقده، لتحذير القارئ منها، بخلاف المناهج النقدية الأخرى للمفسرين، التي تُعدِّد الأسباب والضوابط العلمية للنقد، كما فعل أبوحيان في تفسيره البحر المحيط.

******

ومن خلال عرض المناهج النقدية المختلفة للمفسرين في نقدهم للروايات والأقوال الواردة في تعيين "الهدية"، نلاحظ التنوع والاختلاف فيما بينها، فمن المفسرين من يعتمد منهجه النقدي على تصدير الرواية بـصيغ التضعيف "روي، وقيل "دون التعليق عليها، ومنهم من يسلك طريقا آخر، فيُعلِّق عليها

(١) المحرر الوجيز، (٣٠٨/٤).

بالحكم الصريح الواضح دون أن يذكر أسباب النقد وآلياته، ومنهم من يُعلِّق ويقوم بسرد قواعد النقد وضوابطه، ما بين مُقِلٍّ ومُكْثِر، ليكون منهجه النقدي مبنيًا على قواعد علمية ومنهجية رصينة.

******

النموذج الثاني

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٣.

نقد المفسرين لروايات تعيين المرض وتحديد مدته وتحليل منهجهم النقدي:

١- **قال ابن كثير:** "رُوي أنه مكث في البلاء مدة طويلة، ثم اختلفوا في السبب المُهيِّج له على هذا الدعاء، فقال الحسن وقتادة: أُبتلي أيوب (عليه السلام) سبع سنين وأشهرًا، ملقى على كناسة[١] بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرَّج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء، وقال وهب بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين، لا يزيد ولا ينقص، وقال السدي: تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام، فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالرَّماد يكون فيه... وقد روي عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة، ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، **وفيها غرابة تركناها لحال الطول**..."[٢]. وبعد أن ذكر حديثا مرفوعا في شأن مرض سيدنا أيوب (عليه السلام) عقَّب عليه بقوله: "**رفْع هذا الحديث غريبٌ جدًا**"[٣].

---

(١) الكَنْسُ: كَسْحُ القُمام عَنْ وَجْهِ الأَرض. كَنَسَ الْمَوْضِعَ يَكْنُسُه، بِالضَّمِّ، كَنْساً: كَسَح القُمامَة عَنْهُ. والمِكْنَسَة: مَا كُنِس بِهِ، وَالْجَمْعُ مَكانِس. والكُناسَة: مَا كُنِسَ.. والكُناسة أيضا: مُلْقَى القُمَامِ. لسان العرب (١٩٧/٦)، مادة: "كنس".

(٢) تفسير ابن كثير، (٢٣٠/٣).

(٣) تفسير ابن كثير، (٢٣١/٣).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) عندما نتأمل في آليات منهج ابن كثير النقدي، نجد أنه صدَّر كلامه بصيغة تدل على التضعيف وهي: "رُوي"، التي تُوحي إلى غياب مصدر تلك الأقوال والروايات الواردة في تعيين مرض سيدنا أيوب (عليه السلام) وتحديد مُدَّته، وكذلك الشك في مصدرها إن وجد.

(ب) ثم استخدم ابن كثير لفظ "الاختلاف" قبل سرد الأقوال والروايات، إشارة منه إلى الاضطراب والتناقض فيما بينها، دون وجود مُرجِّح يرفعه ويُزيله.

(جـ) وقد وصَف ابن كثير مضمون رواية وهب بن منبِّه بالغرابة، لِمَا تحتويه من أخبار بعيدة كل البُعد عن تعاليم الشرائع السماوية، ولا يصح عقلًا ولا عقيدة، نسبتها إلى نبي من الأنبياء، وهو سيدنا أيوب (عليه السلام) لأن الله اصطفاهم واختارهم من بين خلقه، لحمل رسالته ودعوة الناس إليها، وحباهم بصفات الكمال، ونزَّههم عن كل نقصٍ وعيبٍ، يُخِل برسالتهم، فضلًا عن مروءتهم.

(د) ووصف الغرابة الذي وصف به ابن كثير رواية وهب بن منبه يعني عنده بطلان مضمونها ومحتواها، ومع بطلانها فلا مانع عنده من ذكرها في تفسيره، لتحذير الناس من مضمونها، وما منعه إلا طولها، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: "**وفيها غرابة تركناها لحال الطول**".

(هـ) ولمَّا كان متن الرواية شديد الغرابة، اكتفى ابن كثير بالتعليق عليه دون ذكر سندها والتعليق عليه والبحث في عدالة رواته.

(و) أمَّا الرواية المرفوعة إلى النبي (ﷺ) فنلاحظ أن ابن كثير نظر إلى السند، وركَّز عليه، واكتفى بنسبة وصف الغرابة إلى رفع الحديث إلى النبي (ﷺ) لكون المرفوع إليه الحديث هو الصادق الأمين، الذي لا ينطق عن

الهوى، إن هو إلا وحيٌ يُوحى، ولا يمكن أن يتلفظ بمثل هذه الكلام وينسبه إلى سيدنا أيوب (عليه السلام) ولذلك قال ابن كثير: "**رفع هذا الحديث غريبٌ جدًا**".

(ي) ومن خلال ما سبق نلاحظ أن منهج ابن كثير في نقد الرواية، يعتمد على الإيجاز والاختصار، دون ذكر آليات وأسباب النقد، ويكمن ذلك في وصف المتن أو السند بألفاظ موجزة ناقدة، كلفظ الغرابة، لتحذير القاريء منها، وتوجيه النقد إلى مجمل الرواية دون الدخول في تفاصيلها.

وكذلك مِن منهجه النقدي أنه أحيانا يوجه النقد إلى متن الرواية، متجاهلا راويها، لكونه مشهورا برواية الإسرائيليات، كوهب بن منبه، وتارة أخرى يوجه النقد إلى السند لما في نسبة المتن إلى النبي (ﷺ) من كذبٍ وافتراءٍ.

******

٢- **قال أبو حيان:** "وقد ألطف أيوب في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يُصرِّح بالمطلوب، **ولم يُعيِّن الضُّر الذي مسَّه**"(١).

وقال أيضا في مستهل الرواية: "**طوَّل الإخباريون في قصة أيوب**....."، ثم ختمها بقوله: "وروي أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنًا، وذكروا في كيفية ذهاب ماله وأهله وتسليط إبليس عليه في ذلك، **الله أعلم بصحتها**"(٢).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن أبا حيان توقف عند ظاهر اللفظة القرآنية "الضُّرُّ"، دون أن يخوض في تعيينه، وقام بنقد الروايات الواردة في ذلك بقوله: "ولم يُعيِّن الضُّر

(١) تفسير البحر المحيط، (٦/٢٤٣).

(٢) المصدر السابق.

الذي مسَّه"، إشارة منه إلى أولوية العناية بأغراض ومقاصد الآيات، لنستلهم منها العبر والعظات، دون الدخول في تفاصيل المرض.

وبهذا يتضح أن منهج أبي حيان النقدي يختلف عن منهج ابن كثير، إيجازا وإطنابا، فإذا كان ابن كثير يعلق على الرواية وينقدها مجملة فيصفها بالغرابة، فإن أبا حيان يدخل في تفاصيل الروايات ويعلق على جزئياتها، وينقدها.

(ب) وقد استهل أبو حيان كلامه بألفاظ "طوَّل الإخباريون" و "رُوي"، وهي ألفاظ نقدية لها دلالات، من بينها: ضياع الجهد والوقت، وطول الحديث في أشياء لم يُصرِّح بها القرآن، ولم تكن من أغراضه ومقاصده، وكذلك: أن هذه الروايات ليست وحيًا، وإنما هي من كلام القصَّاصين والإخباريين والوضَّاعين، وفي هذا إشارة منه إلى ضعف مصدر تلك الروايات، وعدم الاستناد إليها في فهم معاني القرآن.

(جـ) ونلاحظ في قول أبي حيان الذي ختم به الرواية "**الله أعلم بصحتها**"، الحكم ببطلانها، والشك في صحتها سندا ومتنا، وتفويض العلم إلى الله (ﷻ)، لافتقاد الأدلة الصحيحة على مضمونها.

وبالتالي نجد أن عبارة ابن كثير النقدية كانت أكثر جزمًا ـ حين وصف مضمون الرواية بالغرابة ـ دون تردد أو شك، من عبارة أبي حيان النقدية التي فوَّض العلم بصحتها إلى الله (ﷻ)، والتي لا تفيد القطع والجزم.

******

٣- قال الدكتور محمد سيد طنطاوي: "وقد ذكر بعض المفسرين هنا قصصًا وأقوالا فى غاية السقوط والفساد، حيث ذكروا أن أيوب (عليه السلام) مرض زمنًا طويلا، وأن الديدان تناثرت من جسده، وأن لحمه قد تمزق، وهذه كلها أقوال باطلة، لأن الله - تعالى - عصم أنبياءه من الأمراض المنفِّرة، التى تؤدي إلى ابتعاد الناس عنهم، سواء أكانت أمراضًا جسدية أم عصبية أم نفسية.

والذى يجب اعتقاده أن الله – تعالى – قد ابْتلى عبدَه أيوب ببعض الأمراض التي لا تتنافى مع منصب النبوة، وقد صبر أيوب على ذلك حتى ضرب به المثل فى الصَّبر، فكانت عاقبة صبره أن رفع الله – تعالى – عنه الضُّر والبلاء، وأعطاه من فضله الكثير من نِعمه"[1] .

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن الدكتور طنطاوي كان دقيقًا في اختيار ألفاظه، فعبَّر بلفظ "بعض المفسرين"، إشارة منه إلى منهجه في عدم التعميم في النقد، وإطلاق الأحكام على عمومها، وإنما كان نقده خاصًا ببعض المفسرين ــ الذين ذكروا الرويات في كتبهم ــ دون الآخرين.

(ب) وكذلك يتَّسِم منهجه النقدي بالجزم والقطع في إطلاق الأحكام دون تردد أو شك، حيث وصف تلك الروايات الواردة في شأن مرض سيدنا أيوب (عليه السلام) بالسقوط والفساد والبطلان.

(جـ) ومن منهجه النقدي أنه لم يذكر نقده مجردا عن الأسباب والمبررات، تاركا القاريء في حالة تردد وشك من نقده، وإنما كان مقرونا بها، مُدَعَّما بالحجة والبرهان، ليكون مُقْنِعا مُؤثِّرا في الآخرين.

ومن أسبابه التي ذكرها: الناحية العقدية: حيث إن الله (عز وجل) عصم الأنبياء من الأمراض المُنفِّرة، أيا كان نوعها، لأنه من المعلوم عقديًا أنهم متصفون بصفات الكمال، ومُنزَّهون عن كل نقص يُخل بدعوتهم ومروءتهم.

وكذلك الناحية الاجتماعية: حيث إن الله (عز وجل) أرسلهم لدعوة الناس إلى الإيمان به وتوحيده، والدعوة تستدعي التجمع والاحتكاك بالمجتمع، فكيف

(١) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي، (ص: ٣٦٢٧).

يُصيبهم بالأمراض التي تُبعد الناس عنهم؟! إن هذا لمحض افتراء على سيدنا أيوب (عليه السلام).

(د) ومن منهجه كذلك، أنه لم يكتف بنقد الروايات، وذكر أسباب نقده ومبرراته، وإنما بيَّن الصواب والحق بعد أن نقد الباطل، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الناقد، فليس الناقد هدَّاما وإنما بانِيا ومُؤسِّسا ومُوضِّحا للمعاني الصحيحة، والأفكار السديدة، والرؤى الجديدة.

فقام بذكر المعنى الصحيح للضُّر الذي أصاب سيدنا أيوب (عليه السلام)، وصبره عليه، وابتهاله لربه، واستجابته له، وإغداق النعم عليه في الدنيا والآخرة؟

المبحث الرابع

المنهج النقدي للمفسرين فيما يتعلق بأسباب النزول

النموذج الأول

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ البقرة: ٢٦.

نقد بعض المفسرين للروايات الواردة في أسباب نزول الآية وتحليل منهجهم النقدي:

١- **قال ابن كثير:** "قال السدي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا ﴾ البقرة: ١٧، وقوله: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ البقرة: ١٩، الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ٢٧،[١] وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾،[٢] وقال سعيد عن قتادة: أي أن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئًا مما قل أو كثر، وإن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾،[٣] **(قلت) العبارة الأولى عن قتادة فيها إشعار أن هذه الآية مكية**

(١) تفسير الطبري (٣٢٢/١). وانظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص: ١٧).
(٢) تفسير الطبري (٣٢٣/١). وانظر لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي (ص: ١٧).
(٣) تفسير الطبري (٣٩٩/١).

وليس كذلك، وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب، والله أعلم. وروى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة، وقال ابن أبي حاتم: روي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي وقتادة. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا مثل في القرآن إذا امتلؤوا من الدنيا ريًا أخذهم الله عند ذلك ثم تلا: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ الأنعام: ٤٤، هذا رواه ابن جرير[١] ورواه ابن أبي حاتم[٢] من حديث أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية بنحوه فالله أعلم، **فهذا اختلافهم في سبب النزول، وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لأنه أمس بالسورة وهو مناسب**"[٣].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) استند ابن كثير إلى مسائل علوم القرآن، كمسألة مكية الآية ومدنيتها، في نقده رواية قتادة التي تشير إلى نزول الآية في المشركين، فأشار إلى أن الآية مدنية، فالقول بأن الآية نزلت في المشركين يُوهم القارئ بمكية الآية، ولذلك انتقد قول قتادة بقوله: "**العبارة الأولى عن قتادة فيها إشعار أن هذه الآية مكية، وليس كذلك**". حيث انتقد سبب نزول الآية بناء على مكان نزولها.

(ب) وقد رجح ابن كثير القول بالعموم، ونزول الآية في أهل الضلالة عامة، دون التخصيص باليهود أو المنافقين أو المشركين، لفقدان السبب الصحيح، ولذلك رجَّح رواية قتادة الثانية فقال: "**وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب،**

---

(١) تفسير الطبري (٣٩٩/١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤١/١).

(٣) تفسير ابن كثير، (٨٤/١).

والله أعلم". وعند فقدان الدليل الصحيح يُسار إلى القول بالعموم، وهي قاعدة اعتمد عليها ابن كثير في نقده وترجيحه.

(جـ) ومن منهجية ابن كثير النَّقدية أنه لم يجزم بالقول الراجح، طالما أن الآية تحتمل أقوالًا أخرى، ولذلك عبَّر عنه بلفظ "أقرب" أي إلى الصواب، ثم بعد ذلك يُفوِّض العلم إلى الله (ﷻ) فيقول: "والله أعلم"، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الناقد من التواضع، وإنكار الذات، وفتح الباب أمام الآراء والأقوال والأفكار الأخرى، طالما يفتقد الدليل الصحيح.

(د) ومما يؤكد على اعتماد ابن كثير على مكية الآية ومدنيتها في نقده للروايات، أنه وافق ترجيح ابن جرير الطبري لرواية السُّدِّي التي تُشير إلى نزول الآية في المنافقين، فقال: "**فهذا اختلافهم في سبب النزول، وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لأنه أمَسُّ بالسُّورة وهو مناسب**". فعلَّل موافقته بأن قول السدي مناسب لمدنية السورة.

******

٢- **قال الرازي:** "المسألة الأولى: عن ابن عباس أنه لما نزل الْمَصِيرُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ الحج: ٧٣، فطعن في أصنامهم، ثم شبه عبادتها ببيت العنكبوت، قالت اليهود: أي قدْر للذُّباب والعنكبوت حتى يضرب الله المثل بهما، فنزلت هذه الآية[1]. **والقول الثاني:** أن المنافقين طعنوا في ضرب الأمثال بالنار والظلمات والرعد والبرق في قوله ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا**﴾ البقرة: ١٧. **والقول الثالث:** أن هذا الطعن كان من المشركين، **قال القفال: الكل محتمل ههنا**، أما اليهود فلأنه قيل في آخر الآية ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا**

(١) لباب النقول في أسباب النزول (ص: ٨).

﴿ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ البقرة: ٢٦ - ٢٧، وهذا صفة اليهود لأن الخطاب بالوفاء وبالعهد فيما بعد إنما هو لبني إسرائيل، وأما الكفار والمنافقون فقد ذكروا في سورة المدثر ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ المدثر: ٣١، فأما الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والذين كفروا يحتمل المشركين لأن السُّورة مكية فقد جمع الفريقان ههنا، **إذا ثبت هذا فنقول احتمال الكُل ههنا قائمٌ، لأن الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله (ﷺ)، وقد مضى من أول السورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود وذكر المنافقين وذكر المشركين وكلهم من الذين كفروا، ثم قال القفَّال: وقد يجوز أن ينزل ذلك ابتداءً من غير سبب لأن معناه في نفسه مُفيد**"(١).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن الرَّازي في ترجيحه القول بالعموم نقلا عن القفال، اعتمد على سياق الآيات، فنظر إلى اللحاق ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ البقرة: ٢٦ - ٢٧، فوجده مناسبًا لاحتمال دخول اليهود في الآية، بالإضافة إلى أنه نظر إلى السِّياق العام للقرآن كله فوجده مناسبًا لاحتمال دخول الكفار والمنافقين في الآية، حيث يقول الله (ﷻ) في سورة المدَّثر ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ المدثر: ٣١.

وكذلك اعتمد على السياق العام للسُّورة كلّها، فوجدها تتحدث في آياتها عن الكافرين والمنافقين واليهود.

(١) تفسير الرازي : مفاتيح الغيب، (١٢٢/٢). وانظر تفسير البحر المحيط، (٩٧/١).

فضلًا عن اعتماده على السِّياق التاريخي، الذي يُثْبت اتفاق اليهود والكفار والمنافقين على إيذاء النبي (ﷺ) ومشاركتهم جميعًا في التَّهكُّم على ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

لذلك يُعدُّ السياق القرآني آلية من آليات النقد، وركيزة أساسية للترجيح عند الرازي، لكونه يُعتبر من تفسير القرآن بالقرآن، وهو مِن أجلِّ التفاسير وأعظمها.

(ب) ومن آليات الرازي النقدية نقلًا عن القفال أنه استند إلى الجانب العقدي، فوجد أن الكفار والمنافقين واليهود يشتركون في الكفر والضلال، فكل من كان من أهل الضلال دخل في الآية، ولذلك رجح القول بالعموم.

(جـ) وكذلك من منهج الرازي النقدي نقلا عن القفال أنه نظر إلى معنى الآية، فوجده مفيد في ذاته، هادف في رسالته، صالح لكل زمان ومكان، لا يتوقف نزوله على سبب أو حادثة، ولذلك حكم بجواز نزول الآية ابتداء، خاصة عند فقدان السبب الصحيح.

(د) ولذلك نجد عند التأمل في منهجية وطريقة النقد عند ابن كثير والرازي، يتبين لنا بوضوح اختلافها عند كلٍ منهما، فإن ابن كثير اعتمد في نقده وترجيحه على مكية الآيات ومدنيتها، أمَّا الرازي نقلا عن القفال اعتمد على السياق القرآني، والجانب العقدي، ومعنى الآية ومضمونها.

******

٣- قال السيوطي بعد أن ذكر الروايات في سبب نزول الآية: "قلت: القول الأول أصح إسنادا، وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية، وما أوردناه عن قتادة و الحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ قالت اليهود: وهو أنسب"[(١)].

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص: ١٧).

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن المنهج النقدي للسيوطي انفرد عن منهجي ابن كثير والرازي في الاعتماد على مدى صحة أسانيد الروايات من ضعفها، حيث قال: "القول الأول أصح إسنادا "إشارة منه إلى نزول الآية في المنافقين، وهي آلية من آليات النقد عند المفسرين.

(ب) بالإضافة إلى اعتماده على آلية مكية السورة ومدنيتها، في نقد الروايات، ومناسبتها لسياق الآيات.

******

النموذج الثاني

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ الأنفال: ١.

نقد بعض المفسرين للروايات الواردة في أسباب نزول الآية وتحليل منهجهم النقدي:

١ – **قال الطبري:** "واختلف في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في غنائم بدر، لأن النبي (ﷺ) كان نفَّل[1] أقوامًا على بلاء، فأبلى أقوام، وتخلف آخرون مع رسول الله (ﷺ)، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب، فأنزل الله هذه الآية على رسوله، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله (ﷺ)، فماضٍ جائزٌ... وقال آخرون: بل إنما أنزلت هذه الآية، لأن بعض

(١) **الأنفال:** قال ابن عاشور: "قال الجمهور: المراد بها ما كان زائدا على المغنم، فيكون النظر فيه لأمير الجيش يصرفه لمصلحة المسلمين، أو يعطيه لبعض أهل الجيش لإظهار مزية البطل، أو لخصلة عظيمة يأتي بها، أو للتحريض على النكاية في العدو". التحرير والتنوير، (١٠/٩).

أصحاب رسول الله (ﷺ) سأله من المغنم شيئًا قبل قسمتها، فلم يعطه إياه، إذ كان شِرْكًا بين الجيش، فجعل الله جميعَ ذلك لرسول الله (ﷺ)، وقال آخرون: بل نزلت: لأن أصحاب رسول الله (ﷺ) سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر، فأعلمهم الله أنّ ذلك لله ولرسوله دونهم، ليس لهم فيه شيء...**قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى أخبرَ في هذه الآية عن قوم سألوا رَسول الله (ﷺ) الأنفال أن يُعطيهموها، فأخبرهم الله أنها لله، وأنه جعلها لرسوله، وإذا كان ذلك معناه، جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله (ﷺ) فيها، وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه، وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش**"[1].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن الطبري في منهجه النقدي لروايات أسباب نزول الآية، توقف عند ظاهر النظم القرآني، وأخذ به في بيان معنى الآية، ولم يُعيِّن سببا واحدا لنزولها، طالما لم تُحدِّد الآية السائلين عن الأنفال، وتعددت الروايات في سبب النزول، وتعذَّر الترجيح بينها.

فقال الطبري في معنى الآية: "**إن الله تعالى أخبرَ في هذه الآية عن قوم سألوا رَسول الله (ﷺ) الأنفال أن يُعطيهموها، فأخبرهم الله أنها لله، وأنه جعلها لرسوله**".

وظاهر النظم القرآني يُعدُّ آلية من آليات النقد عند المفسريين، يلجأون إليها، لينتقدوا بها الروايات والآثار، حال بطلانها وضعفها، أو تعذر الجمع بينها، أو مخالفتها لظاهر النظم القرآني.

(١) تفسير الطبري، (٣٦٧/١٣ ــ ٣٨٠).

(ب) وبناءً على المعنى الظاهر من النظم القرآني سلك الطبري مسلك القول بالعموم في سبب نزول الآية، دون تعيين أحد الأسباب، طالما أن الآية تحتمل، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولهذا لم ينتقد سببًا من الأسباب، أو يحكم عليه بالضعف أو البطلان، ولذلك قال: "**وإذا كان ذلك معناه، جاز أن يكون نزولها....**".

والقول بالعموم يُعدُّ آلية من آليات النقد، وقاعدة أساسية يستند إليها المفسرون عند تعدد روايات أسباب النزول، وتعذر الجمع بينها.

******

٢- **قال أبو حيان:** "ولا خلاف أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه، **وقد طوَّل المفسرون** الزمخشري وابن عطيّة وغيرهما في تعيين ما كان سبب نزول هذه الآيات، **وملخّصها:** أنّ نفوس أهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس البشر من إرادة الأثَرة والاختصاص، **ونحن لا نُسمِّي من أبلي ذلك اليوم،** فنزلت ورضي المسلمون وسلموا وأصلح الله ذات بينهم"[(١)].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن أبا حيان قسَّم سبب نزول تلك الآية إلى قسمين: متفق عليه، ومختلف فيه، ومن منهجه النقدي أنه استهلَّ نقده بذكر المتفق عليه عند المفسرين في سبب نزول تلك الآية، حيث قال: "**ولا خلاف أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه**".

والبدء بالمتفق عليه منهجية علمية دقيقة، وطريقة نقدية موضوعية، لكونها أدعى إلى التمايز بين المعارف والعلوم، وتثبيتها في الأذهان والقلوب، وجمع شتاتها واختلافها، وهذا ما يُميِّز النقد الموضوعي.

(١) تفسير البحر المحيط، (٣٧١/٤).

(ب) وكذلك من منهج أبي حيان النقدي، أنه يتجنب تسويد الصفحات بالرويات المتناقضة في تعيين ما كان سبب نزول الآية، ويكتفي بذكر زمن ومكان نزول الآية، وذكر المعنى العام لها، لكونه المراد والمقصود منها، إذ إن القرآن الكريم يعتني بالعبر والحكم والمواعظ دون تعيين الأشخاص.

ولذلك انتقد أبو حيان المفسريين الذين أكثروا من ذكر الروايات التي تبحث في تعيين ما كان سبب نزول الآية، فقال: "**وقد طوَّل المفسرون....**"، ثم ذكر المراد من الآية دون تعيين أشخاص فقال: "**وملخّصها: أنّ نفوس أهل بدر تنافرت...**"، ومما يدل على أنه لم يعتني بتعيين الأشخاص أنه قال: "**ونحن لا نُسمِّي من أبلي ذلك اليوم**".

******

٣- قال الرازي نقلا عن القاضي: "وكل هذه الوجوه تحتمله الآية، وليس فيها دليل على ترجيح بعضها على بعض، وإن صح في الأخبار ما يدل على التعين قضى به، وإلا فالكل محتمل، وكما أن كل واحد منها جائز، فكذلك إرادة الجميع جائزة فإنه لا تناقض بينها"[(١)].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) أن الرازي يقوم بترجيح احتمالية الآية لجميع الوجوه المذكورة في أسباب نزول الآية، في حالة غياب القرينة الدالة على ترجيح بعضها على بعض، وكذلك في حالة عدم التناقض بين الروايات.

(ب) ومن منهجيته النقدية أنه يذكر الترجيح مقرونًا بالأسباب والقرائن، لكونه أقوى حجة، وأكثر تأثيرًا وإقناعًا.

******

(١) تفسير الرازي، (ص: ٢١٢٠).

٤ – قال القرطبي تعقيبا على الروايات الواردة في تعيين ما كان سبب نزول تلك الآية: "والروايات كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية، والله الموفق للهداية"[١].

تحليل منهجه النقدي:

(أ) نلاحظ أن القرطبي ذكر بعض الروايات دون أن يرجح بعضها على بعض، أو القول باحتمالية الآية جميع الوجوه.

(ب) إشارة القرطبي إلى كثرة الروايات الواردة في تعيين ما كان سبب نزول تلك الآية، والاكتفاء بذكر بعضها، دليل على غياب قرائن الترجيح والحكم عنده.

هذا، وعند التأمل في المناهج النقدية للمفسريين نجد أنها متباينة، من حيث الترجيح وعدمه، وذكر قواعد وقرائن الترجيح وعدمها، والترجيح نوع من أنواع النقد.

(١) تفسير القرطبي، (٣٦١/٧).

الخاتمة

من خلال معايشتي لهذا البحث توصلت لأهم النتائج والمقترحات، وهي:

أهم نتائج البحث:

١- من ملامح المنهج النقدي للمفسريين أن بعضهم يتصدى لنقد المرويات والأقوال التفسيرية، والبعض الآخر يتركها دون نقد أو تعليق.

٢- تتفاوت عبارات المفسريين النقدية، إطنابًا وإيجازًا، لذوعةً ولينًا، حزمًا وترددًا.

٣- بعض المفسرين يقوم بإعمال القواعد النقدية التفسيرية أثناء نقده، فيأتي نقده نقدًا علميًا رصينًا، والبعض الآخر يُهْمل القواعد النقدية، ويكتفي بالإشارات النقدية.

أهم مقترحات البحث:

من خلال كتابتي لهذا البحث، توصلت لاقتراحات أهمها ما يلي:

١- العناية بدراسة عبارات المفسرين النقدية بدقة عالية، لاستنباط القواعد والآداب النقدية.

٢- دراسة المنهج النقدي لكل مُفسِّر على حده، من خلال تفسيره، وذلك أثناء مرحلة الدراسات العليا.

٣- المقارنة بين المناهج النقدية للمفسريين، والموازنة بينها، لبيان أوجه التشابه والاختلاف بين المناهج المختلفة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. **الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي**، ط: دار الفكر، ت: سعيد المندوب.

٢. **أحكام القرآن**، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، المتوفى: ٥٤٣هـ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٣. **الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير**، الدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

٤. **الأصلان في علوم القرآن**، الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

٥. **إعجاز القرآن**، المؤلف: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، دار المعارف – القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر.

٦. **البحر المحيط لأبي حيان**، ط: دار الكتب العلمية، ط ١ : ١٤٢٢هـ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض.

٧. **تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض مرتضى الزبيدي**، ط: دار الهداية.

٨. **التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور**، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

٩. **تفسير الرازي، مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي**، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤٢١هـ.

١٠. **تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي**، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ : ١٤٢٠هـ، ت: سامي بن محمد سلامة.

١١. **تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى: ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٢. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٣. **التفسير والمفسرون**، الدكتور/ محمد السيد حسين الذهبي، المتوفى: ١٣٩٨هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٤. **جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب**، أبو جعفر الطبري، ط: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ، ت: الشيخ أحمد شاكر.

١٥. **الطبقات الكبرى لابن سعد**، ط: دار صادر – بيروت .

١٦. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٧. **لباب النقول في أسباب النزول**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء العلوم – بيروت.
١٨. **اللباب في علوم الكتاب**، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المتوفى: ٧٧٥هـ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.
١٩. **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، المتوفى: ٧١١هـ، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
٢٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية**، ط: دار الكتب العلمـية، ط١ : ١٤١٣هـ، ت: عبد السلام عبد الشافي .
٢١. **معالم التنزيل للإمام محيي السنة البغوي**، ط: دار طيبة للنشر، ط٤ : ١٤١٧هـ، ت: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة – سليمان مسلم الحرش.
٢٢. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٢٣. **المعجم الوسيط**، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
٢٤. **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٥. **مقدمة في النقد الأدبي**، د. علي جواد الطاهر، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م.
٢٦. **من روائع القرآن** – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله (ﷻ)، المؤلف: محمّد سَعيد رَمضان البوطي، الناشر: موسسة الرسالة – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٢٧. **منهج النقد في التفسير**، د. إحسان الأمين، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الفهرس
١	**الملخص باللغة العربية**	١٤٦٣
٢	**الملخص باللغة الإنجليزية**	١٤٦٤
٣	**المقدمة**	١٤٦٥
٤	**المبحث الأول:** حقيقة النقد، ودواعيه، وقواعده.	١٤٦٧
٥	**المبحث الثاني:** المنهج النقدي للمفسرين فيما يتعلق بمعاني الألفاظ.	١٤٧٣
٦	**المبحث الثالث:** المنهج النقدي للمفسرين فيما يتعلق بجانب الإسرائيليات.	١٤٨٥
٧	**المبحث الرابع:** المنهج النقدي للمفسرين فيما يتعلق بأسباب النزول.	١٤٩٦
٨	**الخاتمة**	١٥٠٦
٩	**فهرس المصادر والمراجع**	١٥٠٧
١٠	**فهرس الموضوعات**	١٥١١